

شرح أصول الكافي

[51] الشيطانية فهذا رياء وشرك محبط للعمل وناقل له من كفة الحسنات إلى كفة السيئات ومن ميزان الرجحان إلى ميزان الخسران، ولذلك ورد في كثير من الروايات الأمر باخفاء العمل واستاره حفظاً له عن الرياء المنافي لاختلافه المفسد له بالكلية، وظاهر هذا التفسير يدل على أن قصد الثواب أو الخلاص من العقاب لا ينافي الخلوص كما يدل عليه كثير من الروايات مثل قوله (صلى الله عليه وآله وسلم): " من ترك معصية مخافة الله عز وجل أرضاه يوم القيامة " وقوله " قال الله تعالى " لا يتكوا العاملون لي على أعمالهم التي يعملونها لثوابي - الحديث " وذهب جماعة من العلماء إلى أنه ينافي الاخلاص ويفسد العمل ودليلهم ضعيف والاحتياط ظاهر. قوله (والنية أفضل من العمل) النية في اللغة عزم القلب على أمر من الامور، في العرف ارادة ايجاد الفعل على الوجه المأمور به شرعا، وتلك الارادة إذا تحققت فيه تسرى إلى الاعضاء وتحركها إلى افعالها، وهي أفضل الاعمال، وإذا ضم هذا مع قوله (عليه السلام): " أفضل الاعمال أحمرها " يفيد أن النية أحمرها، وهو كذلك لأن النية الخالصة يتوقف على قلع القلب عن حب الدنيا ونزعه عن الميل إلى ما سوى الله تعالى، وهذا أشق أشياء على النفس. ولهذا (صلى الله عليه وآله وسلم): " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر " حيث عد الجهاد الذي هو أشق الاعمال البدنية أصغر من جهاد النفس وصرف وجهها عن غير الله لأنه أشق والأشق أفضل لما مر. على أن المراد نية المؤمن وهي أدوم وثمرتها أعظم من الاعمال لأن نيته أن لو بقى أبد الأبدية أن يكون مع الايمان بالله والطاعة له وهذه النية من لوازم الايمان ودائمة لا تنقطع بخلاف العمل فإنه ينقطع ولو بقى إلى مائة سنة أو أزيد وثمرتها الخلود في الجنة. والذي يدل عليه ما روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) " إنما خلد أهل النار في النار لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يعصوا الله أبداً، وإنما خلد أهل الجنة لأن نياتهم كانت في الدنيا أن لو بقوا فيها أن يطيعوا الله أبداً، فبالنيات خلد هؤلاء وهؤلاء، ثم تلا * (قل كل يعمل على شاكلته " قال: " على نيته " فالعمل تابع النية في الرد والقبول والكمال والنقصان، وفرع لها وهذا وجه آخر لكونها أفضل من العمل لأن الاصل أفضل من الفرع ومن أراد أن يعلم وجوهاً آخر لافضليتها فليرجع إلى ما ذكره الشيخ في الحديث السابع والثلاثين من الأربعين. قوله (ألا وأن النية هي العمل) لما كان نظام العمل وكماله ونقصانه وقبوله ورده تابعة للنية ومسببة عنها بالغ في حمل العمل عليها بحرف التنبيه وحرف التأكيد واسمية الجملة وتعريف الخبر باللام المفيد للحصر، وضمير الفضل المؤكده، ويندفع به ما عسى أن يتوهم من أن التفضيل إنما يتعارف إذا كان

المفضل من جنس المفضل عليه، والنية ليس من جنس العمل. * الأصل
